وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت /كلية التربية
للعلوم الانسانية

قسم التاريخ/دكتوراه إسلامي

المادة الدولة العباسية

عصر القوة (132هـ_170هـ) جـ1 (ابو العباس السفاح , ابو جعفر المنصور)

أ.د حنان عبد الرحمن طه

أولاً: الخليفة ابو العباس السفاح (132هـ-136هـ)

ولد هو عبد الله بن محمد بن علي العباسي، وكنيته أبو العباس في عام ١٠٥ هـ بالحميمة من أرض الشراة من البلقاء بالشام، ونشأ فيها بويع له بالخلافة في الكوفة عام ١٣٢ هـ ويلاحظ وجود تشابه بين اسمي أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور فكلاهما أسمهم عبد الله بن محمد بن علي مما دفع المؤرخين إلى تلقيب الخليفة السفاح بعبد الله الأصغر نظراً لأنه أصغر سناً من أخيه المنصور وألقى أبو العباس، على عادة الخلفاء لدى انتخابهم، خطبة في مسجد الكوفة أوضح فيها الهدف الذي من أجله قامت الثورة العباسية، وذم الأمويين الذين وصفهم بمغتصبي الخلافة, وهناك خطبه موجودة في معظم المصادر التاريخية.

كان الخليفة أبو العباس مقيماً بالكوفة، ويبدو أنه أدرك وضعها الشاذ بفعل عدم تأييد غالبية سكانها للثورة العباسية، وكانوا من شيعة علي، فانتقل منها إلى مكان قريب عرف بهاشمية الكوفة، غير أنه لم يمكث فيها طويلاً، وانتقل إلى الأنبار، شمالي الكوفة، على نهر الفرات في عام ١٣٤ هـ وبنى بجوارها مدينة لنفسه عرفت بهاشمية الأنبار واقام بها إلى آخر حياته.

كان أبو العباس، حين بويع بالخلافة، لا يملك إلا ما ملكه جنده فجيوشه تستعد لمعركة فاصلة مع الأمويين والأمور كلها بيد القواد والدعاة، فكانت مهمته شاقة وعسيرة، كان عليه أن يثبت أقدام العباسيين في الحكم، ويوطد أركانهم . فرأى أن يستعين بإخوته وأعمامه وأبناء إخوته، ويشركهم في أمره حتى لا يستأثر القواد والدعاة بالأمر دونهم من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه أراد نقل السلطة تدريجياً إلى أيدي أفراد الأسرة العباسية.

فعين عمه سليمان بن علي والياً على البصرة وعمه عبد الله بن علي والياً على حرب مروان الثاني، وأخاه أبا جعفر المنصور لقتال يزيد بن هبيرة القائد الاموي الذي كان في واسط.

التفت أبو العباس بعد ذلك إلى تصفية جيوب الأمويين. فبعد أن هزمت قواته بقيادة عمه عبد الله بن علي قوات مروان بن محمد على الزاب وطاردته حتى مصر وقتلته هناك ؛ نشبت الفتن والاضطرابات الداخلية ضد حكمه في المناطق العربية مثل فلسطين والشام والجزيرة التي كانت مركزاً للنفوذ الأموي، ثم شعرت بأن هذا النفوذ لم يلبث أن زال منها وتحول إلى خراسان ثم إن قواد مروان بن محمد خشوا على أنفسهم من بني العباس الذين

أظهروا قسوة شديدة في معاملة أعدائهم كما طمع بعضهم في إعادة إحياء دولة الخلافة الأموية.

والتقت أبو العباس إلى معالجة قضية تمرد يزيد بن هبيرة وكان متحصناً في واسط، فأرسل أبو سلمة جيشاً بقيادة الحسن بن قحطبة، حاصره فيها. وجرت مناوشات بين الطرفين لم تسفر عن نتيجة، مما دفع أبا العباس أن يرسل أخاه أبا جعفر ليقود حصار واسط بنفسه ولما أتى ابن هبيرة خبر قتل مروان بن محمد طلب الصلح وجرت مفاوضات بين الطرفين أسفرت عن منح ابن هبيرة وأنصاره الأمان، وبعث أبو جعفر بكتاب الأمان إلى الخليفة الذي استشار أبا مسلم في ذلك. وبناء على نصيحة هذا الأخير، أمر أبو العباس أخاه أبا جعفر بقتل ابن هبيرة وعدد من أصحابه وبقتل ابن هبيرة تمت تصفية الجيوب الأموية.

وقام أبو العباس بتصفية المنافس السياسي الذي أراده أن يملك ولا يحكم، وهو أبو سلمة الخلال وزير آل محمد، فائهمه بأنه كان يريد تحويل الخلافة من بني العباس إلى آل علي بن أبي طالب، وقد هم أن يفتك به حين بويع بالخلافة لكن ظروف الدولة الناشئة كانت لا تسمح له بذلك، فأقره على منصبه هذا وتسميته تلك وحانت الفرصة للسفاح بأن يتخلص من وزيره بعد أن قضى على الحركات المناهضة لحكمه، وثبت أقدامه في الحكم.

استفادت الدولة البيزنطية من الاضطرابات التي سادت الدولة الإسلامية، نتيجة انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين ونقل العاصمة من دمشق؛ فهاجمت المناطق الشمالية للدولة الإسلامية، ونجح الأمبراطور قسطنطين الخامس في توسعة حدود بلاده بعيداً نحو الشرق عندما أغار على مناطق الثغور الشامية والجزرية واستولى على مدنها وقلاعها.

استحدث ابو العباس منصب الوزير مباشرة بعد انتصار الجيوش العباسية على الجيوش الأموية وقبل مبايعة أبي العباس السفاح بالخلافة، وهذا المنصب هو نظام فارسي قديم. تولى هذا المنصب العديد من الوزراء، الذين تولوا الوزارة في العصر العباسي الأول، كانوا من الفرس. استوزر أبو العباس، بعد أبي سلمة، خالد بن برمك وقد رفض أن يُسمى وزيراً خشية أن يصيبه ما أصاب سلفه، مع أنه خلفه في مهام منصبه بالإضافة إلى جميع المهمات الأخرى التي كان يقوم بها وأهمها الإشراف على ديوان الخراج وديوان الجند بالإضافة إلى الغنائم.

عهد السفاح في عام 136هـ لأخيه أبي جعفر بالخلافة من بعده ثم عيسى بن موسى بن محمد وكتب العهد بذلك وأعطاء إلى عيسى بن موسى أصيب السفاح بالجدري وهو بالأنبار، وتوفي في الثالث عشر من شهر ذي الحجة عام ١٣٦ هـ ودفن في قصره بالأنبار.

ثانياً : ابو جعفر المنصور (136هـ-158هـ)

هو عبد الله بن محمد بن علي ، أبو جعفر المنصور، ولد في الحميمة في عام ٩٥ هـ وأمه أم ولد تدعى سلامة ترعرع في وسط الهاشميين. وطلب العلم، وهو شاب من مظانه وتفقه في الدين، ونال قسطاً من علم الحديث، فنشأ أديباً، فصيحاً، ملماً بسير الملوك.

انتقل أبو جعفر مع أخيه وأهله من الحميمة إلى الكوفة ولما أفضت الخلافة إلى أخيه أبي العباس، كان ساعده الأشد في تدبير أمور الخلافة فولاه الجزيرة وأرمينيا وأذربيجان، ووجهه إلى خراسان لأخذ البيعة له، كما عهد إليه من بعده.

عندما توفي السفاح، وأبو جعفر في الحجاز أميراً على الحج، فأخذ له البيعة ابن أخيه عيسى بن موسى، في الأنبار، وكتب إليه بذلك اتصف المنصور بالشدة والبأس واليقظة والحزم والصلاح والاهتمام بمصالح الرعية.

تولى أبو جعفر المنصور الخلافة، ولم تكن قد توطدت دعائمها بعد وقد خشي من منافسة عمه عبد الله بن علي الذي كان يطلب الخلافة، كما انتابه الخوف من تعاظم نفوذ أبي مسلم الخراساني، ومن خروج بني عمه آل علي بن أبي طالب على حكمه.

الواضح أن الخليفة كان يجمع الجرأة وبعد الهمة والمكر والدهاء. فعزم على ضرب أعدائه بعضهم ببعض، حتى تخلو له الساحة السياسية كان لعبد الله بن علي رؤية خاصة من مشكلة الحكم، فهو بالإضافة إلى طمعه بالخلافة، فإنه انزعج من ابني أخيه أبي العباس وأبي جعفر بفعل ميلهم الشديد للفرس وكان أبو جعفر على حق حين خشي من طموحات عمه الذي خرج غازياً البيزنطيين في عهد أبي العباس على رأس جيش ضم عدداً كبيراً من العرب. ولما وصل إلى دلوك، بنواحي حلب، علم بوفاة السفاح وبيعة المنصور، فتوقف عن الزحف ورحل إلى حران حيث اجتمع بأركان حربه، وتقرر بالنتيجة ترشيح نفسه للخلافة. فبايعه الجند، ومن ثم راح يزحف متجهاً نحو الجزيرة وهكذا استخدم عبد الله هذا الجيش الذي أعد أساساً لغزو البيزنطيين، لتحقيق أطماعه في الخلافة، مدعياً أن أبا العباس أقامه ولياً لعهده حينما أرسله لقتال مروان بن محمد.

ندب أبا مسلم لقتاله رغم حقده عليه، مظهراً بذلك براعة سياسية، لضرب أعدائه بعضهم ببعض، وتمكن أبو مسلم بدهائه السياسي والعسكري من التغلب على عبد الله في معركة جرت بينهما قرب نصيبين في منطقة الجزيرة وفر عبد الله بعد هزيمته إلى البصرة ملتجئاً إلى أخيه سليمان بن علي، وظل متوارياً عنده، إلى أن علم المنصور بذلك، فأرسل يطلبه، وأعطاء من الأمان ما وثق به، ولما جاءه قبض عليه وسجنه، وذلك في عام ١٣٩ هـ وظلم مسجوناً حتى عام ١٤٧ حين قتله المنصور.

كان الفرس قد ساهموا بدور بارز في قيام دولة الخلافة العباسية، وعلى رأسهم أبي مسلم الخراساني، آملين تحقيق تطلعاتهم لكن الدولة الجديدة لم تحقق تطلعاتهم بالشكل الذي يريدونه، ورأوا في إحجام العباسيين عن تنفيذ الوعود التي بذلوها، خلال فترة التحضير للثورة، تراجعاً لا يمكن الاطمئنان إليه، يضاف إلى ذلك، عدم اقتناعهم بالنهج الذي اختطه العباسيون والذي ارتكز على الإسلام والعروبة، نظراً لوجود أهداف أبعد وأعمق ومصالح أوسع ترتكز.

لذلك تغير موقفهم من الدعوة العباسية، وقاموا بحركات تمردية بهدف الإطاحة بالدولة. وكانت حركة أبي مسلم الخراساني فاتحة هذه الحركات المعادية ؛ فهي صورة صادقة من المواجهة بين القوة الخراسانية المعتدة بقوتها والمتطلعة إلى النفوذ والسلطان، وبين المركزية في سلطان الخلافة وفي تحديد ماهية حركة أبي مسلم، يتبين أن هذا الرجل كان يشعر بأنه المؤسس الحقيقي لدولة الخلافة العباسية . وأخذته العزة حين رأى التفاف الفرس حوله يأتمرون بأمره، ويرون فيه زعيماً قومياً, أما علاقة أبي مسلم بأبي جعفر، فقد كانت سيئة جداً، فقد حدثت أحداث أدت إلى تباعد الرجلين منها:

أراد أبو مسلم أن يحج في عام ١٣٦ هـ، وكان يطمع بإمارة الحج، إلا أن الخليفة أبا العباس السفاح ولأها أبا جعفر، مما دفع أبا مسلم إلى الغضب فأخذ يحط من قيمة ابو جعفر وهيبته بإنفاقه الأموال الكثيرة في إصلاح الطرق، وفي الترفيه عن الأعراب، ويتقدمه عليه في الطريق.

ولما مات السفاح، وتولى أبو جعفر الخلافة، تباطأ في بيعته وكانا عائدين من الحج، فكتب إليه يعزيه بوفاة أخيه دون أن يهنئه بالخلافة، أو يبعث إليه بالبيعة أو يتريث في طريقه حتى يلحق به متجنباً لقاء.. مما أدخل الروع والقلق في في نفسه

ولما تولى المنصور الخلافة، قرر التخلص منه وازداد استعلاء أبي مسلم بعد ذلك، لدرجة أنه كان يأتيه الكتاب من الخليفة، فيقرأه ثم يلوي شدقه على سبيل السخرية منه .

وبعد انتصاره على قوات علي بن عبد الله كتب المنصور إليه يهنئه بالنصر ويبلغه بتوليته الشام ومصر، لكن أبا مسلم كان من الدهاء بحيث لم يخدع بمثل هذه المناورة التي تهدف إلى فصله عن جنوده من أهل خراسان، وفطن لغرض المنصور، وعلق عليه بغضب قائلاً : هو يوليني الشام ومصر، وخراسان لي، وقرر العودة إلى خراسان مخالفاً بذلك أوامر الخليفة. وقد خشي هذا الأخير، من عودته بفعل أنه سيعتصم بشيعته، ويصبح قادراً على تحدي السلطة المركزية، فيصعب عند ذلك إخضاعه أو التغلب عليه.

نتيجة لهذا التطور في المواقف، لجأ المنصور إلى أسلوب الدهاء للإيقاع بعدوه، فتوجه إلى المدائن، وكتب إليه يدعوه لزيارته، وهو في طريقه إلى خراسان الأمر مهم. وهكذا تحقق مثول أبي مسلم أمام المنصور بعد عدة محاولات مزج فيها الخليفة السياسة بالتهديد .

ودارت بين الرجلين محاورة طريفة كانت أقرب إلى المحاكمة، وهي تكشف عن اعتداد أبي مسلم بنفسه، وبالجهود التي بذلها في خدمة بني العباس، وتنم عن دهاء المنصور، وخوفه من قيام القوة الخراسانية الفارسية بالانفصال عن السلطة المركزية, وقبل أن تضربه السيوف، استنجد بالخليفة وأخذ يعتذر أمامه عما بدر منه، لكن محاولته هذه لم تغنه عن القتل في ستة137هـ وهكذا تخلص المنصور من هذا المنافس الخطر الذي طالما أقض مضجعه مدفوعاً بعوامل سياسية وشخصية. وحينما أبدى ابن أخيه عيسى بن موسى احتجاجاً على طريقة القتل قال له المنصور : والله ليس لك على وجه الأرض عدو أعدى منه، وهل كان لكم ملك في حياته ؟ وعندما علم جعفر بن حنظلة بقتل أبي مسلم قال للخليفة: يا أمير المؤمنين عد من هذا اليوم خلافتك وإن دل ذلك على شيء، فإنه يدل على عظمة شأن أبي مسلم وقوة سلطانه.

نجح أبو جعفر المنصور في القضاء على أبي مسلم، إلا أن ذكراه بقيت بين الفرس في خراسان والترك في بلاد ما وراء النهر وظهرت في خراسان بعد مقتله حركات دينية سياسية وقومية غريبة عن الإسلام، كان أصحابها يظهرون الإسلام ويبطنون أهدافهم الدينية المجوسية والسياسية الهدامة، والعنصرية الفارسية واتخذوا من أبي مسلم رمزاً ووسيلة للتعبير عن معارضتهم للسلطة العباسية، والتنفيس عما في نفوسهم، ثم منقذاً منتظراً لتحقيق آمالهم وأهدافهم التي لم يحققها شكلت حركة سنباذ أول رد فعل لمقتل ابو

مسلم الخرساني، وقد خرج غضباً العباسيون لقتله وطلباً للأخذ بثأره التف حوله الأتباع، وغلب على نيسابور وقومس والري وتسمى باسم فيروز أصبهذ واستولى على خزائن أبي مسلم وأعلن أنه سوف يهاجم مكة ويهدم الكعبة انتقاما ، فقد عزم هذا الرجل على الأخذ بثأر أبي مسلم من قاتله الخليفة العباسي المنصور، فكانت انتفاضته موجهة ضد هذا الخليفة، وضد النظام العباسي، وما يمثله من اتجاه سياسي نحو الحد من نفوذ الخراسانية. وعندما تفاقم أمر سنباذ أرسل إليه أبو جعفر جيشاً بقيادة جهور بن مزار العجلي اصطدم به بين همذان والري وقضى عليه. وهكذا انتهت هذه الحركة في عام 137 هـ بعد سبعين يوماً من قيامها.

لم يختف أنصار أبي مسلم تماماً بعد القضاء على حركة سنباذ. والحقيقة أن الخليفة العباسي، وإن نجح في القضاء على هذه الحركة، إلا أنه لم يتمكن من القضاء على الأفكار التي دفعت سنباذ إلى الانتفاضة. لذلك، شهدت بلاد فارس وما وراء النهر قيام عدة حركات مناهضة للحكم العباسي، اقترنت باسم أبي مسلم على نحو أو آخر، والتزمت بالأهداف نفسها، من حيث إنها تعد خارجة على الدين الإسلامي والدولة العباسية. وكانت السمة البارزة والمميزة لأنصارها عند خروجهم هي ارتداء البياض، وحمل الأعلام البيضاء، لذلك أطلق على هذه الجماعات اسم المبيضة , من هذه الحركات:

الحركة الراوندية التي قامت في عام 141هـ , وحركة أستاذسيس التي انطلقت من خراسان في عام ١٥٠ هـ وقد جهد المنصور في القضاء عليها، فحاربها دون هوادة، ونجح في ذلك.

حركة محمد النفس الزكية:

لم ينس الطالبيون حقهم في الخلافة منذ مقتل الحسين في كربلاء، فإنهم ما برحوا، في كل أدوار حياتهم، يتذرعون إلى نيل حقهم بكل وسيلة، فإن وجدوا الفرصة سانحة اغتنموها، وإذا أنسوا من أنفسهم ضعفاً ركنوا إلى الهدوء. ولما قامت الدعوة العباسية انخرط بعض الشيعة فيها، ظناً منهم بأنها طالبية، في حين وقف بعضهم الآخر على الحياد، تاركين الأمور تجري في مجراها الطبيعي، على الرغم من تأييدهم لفكرة الثورة على الأمويين.

وحاول العباسيون، من جانبهم، في مستهل حياتهم السياسية، أن يتعاونوا مع الطالبيين لإعطاء دولتهم الناشئة الفرصة لتثبيت أقدامها، ثم بدأ الفريقان في التباعد، شيئا فشيئا، حين أعلن السفاح في خطبة له في الكوفة أن الخلافة عباسية، وستبقى عباسية، وأنه ليس لأحد أي حق فيها، قاصداً بذلك الطالبيين إلا أن العلاقة بين الطرفين اتسمت بالهدوء

والمسالمة، ثم تبدلت بعد ذلك في عهد المنصور، فعالت نحو التأزم ثم الاصطدام. ذلك أن هذا الخليفة، وقد شعر أن المعارضة الطالبية أضحت خصماً عنيداً، راح يهدد كل من يخرج على الدولة. والواقع أن أول الخارجين من الطالبيين على حكم العباسيين، كان محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية، وأخوه إبراهيم، وهما من الفرع الحسني، في حين ركن الإمام جعفر الصادق، وهو من الفرع الحسيني، إلى المهادنة، واستطاع أن يقنع أتباعه بأن الظروف غير مناسبة لإقامة الخلافة الطالبية. ويبدو أن محمداً هذا كان يدعو إلى نفسه، ويتطلع إلى الخلافة قبل وصول العباسيين إلى الحكم، وأضحى له شيعة يدعون له في الحجاز والعراق وخراسان وراح يتهيأ لليوم الموعود. إلا أنه أخطأ في تقديراته حين ظن أن الدعوة التي انتشرت في خراسان، والتي رفعت شعار الرضا من آل البيت ليست إلا دعوة للطالبيين، وهو مرشحهم للخلافة . ولما تسلم العباسيون السلطة، لم يرض عن ذلك، وامتنع عن مبايعة الخليفة السفاح، وحاول الخروج على حكمه، فمنعه والده لما للخليفة عليه من الفضائل ولما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة امتنع الأخوان محمد وإبراهيم عن مبايعته، وأقاما في الحجاز في مكان سري ، مما أزعجه وأقض مضجعه. لذلك جد في البحث عنهما حتى اكتشف مكانهما. واعتقد محمد النفس الزكية آنذاك، أن ظروف خروجه بانت مؤاتية بفعل عدة عوامل لعل أهمها: تضييق العباسيين عليه , كما وصلته رسائل تأييد من أمراء الأقاليم وكبار قادة المنصور، بحثونه على الخروج اعتراف كثير من الناس بإمامته، خاصة أهل الحجاز إلحاح أصحابه عليه بالخروج بعدما سئموا الانتظار, تأييد والده له بالخروج , إفتاء الإمام مالك بجواز بيعته، ونقض بيعة المنصور.اعتقاده أنه أضحى أقوى من المنصور. لذلك أعلن دعوته وظهر في المدينة في مستهل شهر رجب عام ١٤٥ هـ وتلقب بأمير المؤمنين في حين ذهب أخوه إبراهيم إلى البصرة ليرفع لواء الانتفاضة فيها ، وبدأ أنصار الطالبيين يرتدون البياض.وظهر ما كان خافياً على المنصور، فعرف أن المدينة هي قاعدة محمد النفس الزكية ومنطلقه، فركز اهتمامه على الحجاز لمنع انتشار دعوته، ثم لجأ إلى المناورة السياسية، فدعاه إلى حل الخلافات بينهما سلمياً، ودخل من أجل ذلك في سلسلة من المراسلات معه واتخذ في الوقت نفسه التدابير الضرورية لعزل الحجاز عن باقي الأمصار، لقطع الإمدادات عنه، وصد الناس عن دعوته، ثم ارتحل إلى الكوفة، وهي مهد الشيعة، فأحكم قبضته عليها ، كما نجح في دفع الخراسانيين عن مساندته وجاءت الخطوة الحاسمة للقضاء على حركته على يد الفرق العسكرية و سرعان ما وجد محمد نفسه يواجه الكثير من المتاعب لقد أخطأ في تقدير خروجه، فقد كان متفقاً مع أخيه إبراهيم أن يخرج في البصرة في اليوم الذي يخرج هو فيه في المدينة، لكن أخاه لم يخرج في اليوم المحدد المرض ألم به، وأن محمداً

خرج قبل اليوم المحدد نتيجة الضغوط عليه، مما أفقده عنصر التنسيق الضروري للنجاح، وأعطى المنصور فرصة طيبة استغلها لضرب الأخوين كل على حدة.

بناء مدينة بغداد :

كان من بين أهم الأعمال التي قام بها الخليفة أبو جعفر المنصور وتركت أثرها في مستقبل دولة الخلافة العباسية؛ بناؤه مدينة بغداد والواقع أن تاريخ هذه المدينة، باعتبارها قاعدة من القواعد الإسلامية، يسير جنباً إلى جنب مع قيام دولة الخلافة العباسية وسقوطها. وقد ظل العباسيون، قبل ذلك، ثلاثة عشر عاماً، منذ وصولهم إلى الحكم، دون عاصمة لملكهم حتى بنوا بغداد. لقد أدرك المنصور المخاطر التي أحاطت بدولته الناشئة، والتي تهدف إلى تقويض حكم الأسرة العباسية، لذا عمد إلى البحث عن مكان يكون ملائماً لعاصمة جديدة تكون تعبيراً عن سيادة أسرته، فاختار موضعاً عند التقاء نهر الصراة بنهر دجلة حيث توجد بغداد البوابة التاريخية التي تؤدي إلى مدن الشرق.

شرع المنصور في بناء عاصمته في عام ١٤٥ هـ ، واستخدم كثيرة من العمال بالإضافة إلى الاختصاصيين من صناع وتجارين وحدادين وحفارين من الأمصار، وأشرف على البناء عدد من المهندسين الذين عملوا في المدينة ، وقد استغرق بناؤها أربعة أعوام تقريباً، انتهى في عام (١٤٩ هـ) ويعتبر المخطط الذي نفذه المنصور مبتكراً، فقد جعل المدينة مستديرة تحيط بها. أسوار مزدوجة تؤلف حلقتين متتابعتين، وهذا اتجاه جديد في فن بناء المدن الإسلامية ، ويبدو أنه قد تأثر ببناء بعض المدن الفارسية القديمة مثل همدان. شهدت مدينة بغداد على شكل حصن كبير، وتألفت من ثلاثة عناصر معمارية هي: التحصينات، الأسوار الخارجية، ثم المنطقة السكنية الداخلية، وضم وسط المدينة قصر الخليفة والجامع وقصور أولاده ودواوين الحكومة ولم يكن يسمح لأحد بركوب. الخيل أو غيرها من الدواب داخل المدينة الداخلية إلا التخليفة، وإن من يريد القصر عليه الترجل عند مداخل المدينة الداخلية ويسير على الأقدام باستثناء المهدي وداوود بن علي، هم المنصور، الذي سمح له بأن يحمل في محطة نظر المرضه. ويظهر الأثر الفارسي في تخطيط المدينة، إذ فصل الخليفة عن الرعية وجعل له مقام سام يصعب الوصول إليه، كما أن ضخامة القصر والإيوان تظهر روعة الملك، ثم إن فكرة الاستشارة، وحضر بيوت السكان في أحياء منفصلة، يمكن غلقها ليلا وحراستها بصورة دقيقة، يشير إلى السلطة المطلقة المتأثرة بالفرس والتي تتعارض مع سماحة الإسلام وما تعرف عن الأمويين.

وبنى المنصور، في عام (١٥١هـ)مدينة الرصافة أو بغداد الشرقية لابنه المهدي على الجانب الشرقي من دجلة مقابل مدينة بغداد الغربية وقد عرفت باسم عسكر المهدي . وتعود الأسباب الاستراتيجية لتبرز من جديد في بنائها حيث وضع المهدي جنده فيها ليكون من في خارج مدينة المنصور عوناً في قمع الاضطرابات التي قد تنشب داخلها ويبدو أن الخليفة أدرك أنه لن يكون آمناً كل الأمن على نفسه بإقامته في بغداد وجهزت الرصافة بسور وميدان وبستان وأجري عليها الماء وربط بين المدينتين بثلاثة جسور على نهر دجلة ومنح القواد فيها القطائع). وسرعان ما عمرت الرصافة حتى قاربت بغداد في الاتساع وانتهى بناء الرصافة في عام 159هـ في عهد الخليفة المهدي.

ولاية العهدة - وفاة المنصور

من الأحداث المؤثرة التي وقعت في عهد المنصور خلعه لابن أخيه عيسى بن موسى من ولاية العهد، وأخذه البيعة لابنه المهدي، بالرغم من أن هذا الأول كان قد أنقذ له ملكه أكثر من مرة، ويبدو أن الخليفة فكر في خلع ابن أخيه في بداية عهده. فيذكر الطبري أنه أوقد عيسى بن موسى المحاربة العلويين وفي نيته أن يتخلص إما من ولي عهده، ليحول الخلافة إلى ابنه المهدي، أو من محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، وقال : .... لا أبالي أيهما قتل صاحبه لكن كبار رجال الدولة كانوا قد أقسموا في حياة السفاح على بيعة عيسى بن موسى، ولم يكن من السهل عليهم نقضها، ولم يكن ثمة مناص لتحللهم منها إلا يحمل عيسى بن موسى على الانسحاب طوعاً والتخلي عن ولاية العهد، ويبدو أنه لم يكن راغبا في ذلك مما دفع المنصور إلى استعمال وسائل الترغيب والترهيب التي أدت بدورها إلى اضطراره إلى خلع نفسه ومبايعة المهدي في عام (١٤٧ هـ) واضحت ولاية العهد للمهدي أولاً ثم لعيسى بن موسى من بعده. وأسرع المنصور فحمل الناس على بيعة المهدي، وأوصاء بوصية تكشف عن السياسة الرشيدة التي يجب عليه تطبيقها تجاه رعيته، فحله على الرأفة بهم والسهر على راحتهم، وسط العدل بينهم، والتقرب إلى الله بحسن السيرة، وإجلال أهل العلم والدين، وعمارة الأرض لتخفيف الخراج، ونشر الإسلام، والجهاد في سبيل إعلاء كلمته .

توفي المنصور ليلة السبت الست مضين من ذي الحجة عام ١٥٨ هـ وكان يشكو من عسر الهضم، فخرج لأداء فريضة الحج. وعاني، أثناء الطريق، من الآلام الموجعة، ولم يكد يصل إلى بشر ميمون، على بعد سنة أيام من مكة، حتى توفي عند السحر في خيمته.

المصادر والمراجع :

1. فاروق عمر , طبيعة الدعوة العباسية.
2. يوسف العش , تاريخ عصر الخلافة العباسية.
3. عبد العزيز الدوري, العصر العباسي الاول.
4. خليل ابراهيم السامرائي وطارق فتحي سلطان , تاريخ الدولة العربية الاسلمية في العصر العباسي.